شرح البسملة وإعرابها وبيان ما يتعلق بها من مسائل اعتقادية وفقهية

مُستَلٌّ من شرحي الصوتي علي ألفية ابن مالك

وزدت عليه بعض المسائل المتعلقة بها فخرجت هذه الرسالة

تأليف

محمود بن محمد بن عبد الصبور

بسم الله الرحمن الرحيم

والبسملة مصدر قياسي لبسمل كدحرج دحرجة فكذلك بسمل يبسمل بسملة ، إذا قال بسم الله أو كتبها ، وهي من باب النحت وهو أن يختصر من كلمتين فأكثر كلمة واحدة آخذة من معناهم بحظ ، ولا يشترط فيه حفظ الكلمة الأولي بتمامها ولا الاخذ من كل الكلمات ولا موافقة الحركات والسكنات ، ونقل ابن فارس قياسيته في فقه اللغة ، خلافا لبعضهم ، ومن المسموع سمعل إذا قال السلام عليكم ، والحوقلة أو الحولقة إذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله ، وهلل أو هيلل إذا قال لا إله إلا الله ، ومنه بعثرت في سورة الانفطار قيل هي من بعث ونثر ، وحيعل إذا قال حي علي .

والبسملة من المسموع ، قال عمر ابن أبي ربيعة :

قَدْ بَسْمَلَتْ لَيْلَى غَدَاةَ لَقِيتُهَا

فَيَا حَبَّذَا ذَاكَ الحَبِيبُ المُبَسْمِلُ

والغرض من النحت الاختصار والإيجاز .

وجرت عادة أهل العلم بالبدء بالبسملة في مصنفاتهم لأربعة أمور :

الأول :

تأسيا بكتاب الله تعالي ، وفي ذلك مسألتان مشهورتان عند الفقهاء والمحدثين والقراء

المسألة الأولي : هل البسملة آية من الفاتحة ؟

والمسألة الثانية : هل السنة الجهر بها أم الإسرار في الصلوات الجهرية ؟

وهذا مبحث طويل أبين خلاصته في عجالة للإفادة ، فأما المسألة الأولي فيترجح فيها أنها آية من الفاتحة وهو قول الشافعي رحمه الله خلافا لغيره ، والدليل قول أبي هريرة رضي الله عنه كما رواه عنه الدارقطني والبيهقي بسند صححه بعضهم كالألباني في صحيح الجامع

(إِذا قَرَأْتُمْ الحمدُ فاقرؤوا بِسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم، إِنَّهَا أم الْقُرْآن، وأم الكتاب، والسبع المثاني، وبسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم إِحْدَى آياتها)

وأما أنها آية من السور الأخري فهذه محل نظر وبحث ، وللشيخ أحمد شاكر رحمه الله بحث ضمن تعليقه علي جامع الترمذي سماه (الإنصاف فيما جاء في البسملة من الاختلاف)

قال فيه أنها آية من سورة النمل ثابتة ثبوت التواتر القطعي الموجب لليقين ثم قال

(ثم اختلف الفقهاء وغيرهم بعد ذلك : هل هي آية من كل سورة من سور القرآن سوى براءة ؟ أو هي جزء من آية ؟ أو هي آية مستقلة نزلت مع كل سورة - سوى براءة - لافتتاحها وللفصل بينها وبين غيرها ؟ أو هي آية من الفاتحة فقط ؟ أو ليست آية أصلا ، لا في الفاتحة ولا في غيرها ؟
فنقل العلماء عن مالك والأوزاعي وابن جرير الطبري وداود أنهم ذهبوا إلى أنها ليست في أوائل السور كلها قرآنا ، لا في الفاتحة ولا في غيرها. !
وحكاه الطحاوي عن أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد ، وهو رواية عن أحمد ، وقول لبعض أصحابه ، واختاره ابن قدامة في المغني.
وقال أحمد : هي آية في أول الفاتحة وليست قرآنا في أوائل باقي السور ؛ وهو قول إسحاق وأبي عبيد وأهل الكوفة وأهل مكة وأهل العراق ، فيما نقله العلماء ؛ وهو أيضا رواية عن الشافعي.
وقال الشافعي وأصحابه : هي آية من كل سورة سوى براءة ، وحكاه ابن عبد البر عن ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وعطاء وطاووس ومكحول

ثم قال : ولا خلاف بين أحد من أهل النقل وأهل العلم في أن جميع المصاحف الأمهات التي كتبها عثمان بن عفان وأقرها الصحابة جميعًا دون ما عداها : كتبت فيها البسملة في أول كل سورة ، سوى براءة ، وأن الصحابة رضوان الله عليهم إذ جمعوا القرآن في المصاحف جردوه من كل شيء غيره ، فلم يأذنوا بكتابة أسماء السور ولا أعداد الآي ولا (آمين) ، ومنعوا أن يجرؤ أحد على كتابة ما ليس من كتاب الله في المصاحف ، حرصا منهم على حفظ كتاب الله ؛ وخشية أن يشبَّه على أحد ممن بعدهم فيظن غير القرآن قرآنا ، فهل يعقل مع هذا كله أن يكتبوا مائة وثلاث عشرة بسملة زيادة على ما أنزل على رسول الله ؟ ألا يدل دلالة قاطعة منقولة بالتواتر العملي المؤيد بالكتابة المتواترة على أنها آية من القرآن في كل موضع كتبت فيه ؟؟!) انتهي كلامه .

ولا علاقة ترابطية بين كونها آية والجهر بها أو الإسرار فهذه مسألة وتلك مسالة ، فالراجح من أقوال أهل العلم وهو الذي فيه إعمال لجميع الأحاديث الصحيحة الواردة في هذا الباب أنه يُسرّ بها في غالب الأحايين ويجهر بها احيانا ، لا سيما إذا راعينا في ذلك المصلحة وتعليم العوام أنها من الفاتحة ، لا سيما علي قول الشافعي أنها من الفاتحة ، ومعلوم مكانة الفاتحة من الصلاة فهي ركن فيها وتبطل بدونها

ودليل الإسرار عن أنس رضي الله عنه (أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر كانوا يفتَتِحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين)؛ متفق عليه.

زاد مسلم: (لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول قراءة ولا في آخرها).

وفي رواية لأحمد والنسائي وابن خزيمة: (لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم).

وفي أخرى لابن خزيمة: (كانوا يُسِرُّون)

ودليل الجهر بها أحيانا

ما رواه البخاري معلقا ووصله النسائي

عن نعيمٍ المجمرِقال : صليتُ وراءَ أبي هريرةَ فقرَأ بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ ثم قرَأ بأمِّ القرآنِ حتى بلَغ ولا الضَّالِّينَ , فقال : آمينَ ,وقال الناسُ : آمينَ, ويقولُ : كلما سجَد : اللهُ أكبرُ, وإذا قام منَ الجلوسِ : اللهُ أكبرُ, ثم قال : والذي نفسي بيدِه إني لأشبَهُكم صلاةً برسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم .

ونصر هذا القول ابن القيم فقال في زاد المعاد

(وكان يجهر بـ "بسم الله الرحمن الرحيم" تارة ، ويخفيها أكثر مما يجهر بها)

ونقل الشافعي في الأم آثارا أخري في ذلك فليراجعها من شاء وفيما قلناه كفاية إن شاء الله .

والأمر الثاني : الذي ابتدأ البسملة لأجله : التاسي بسنة الرسول صلي الله عليه وسلم القولية فقد روي مسلم في صحيحه عن أنس أن النبي صلي الله عليه وسلم قال لعليّ رضي الله عنه في كتابة صلح الحديبية : اكتب باسم الله الرحمن الرحيم .

والثالث: تأسيا بسنته العملية حيث كان يبدأ بالبسملة في رسائله للملوك كما في حديث هرقل ، وهي سنة الرسل من قبله كما في كتاب سليمان لملكة سبأ .

والرابع : ابتدأ بالبسملة للاستعانة علي أن الباء للاستعانة ، وقد تكون للمصاحبة كذلك تبركا باسم الله تعالي ، وتستعمل الباء للمعنيين كما سياتي في قول ابن مالك

بالبا استعن وعد عوض ألصق : ومثل مع ....

أي تاتي بمعني مع للمصاحبة .

وأما إعراب البسملة

فالجار والمجرور متعلق بمحذوف وجوبا عند أكثر النحويين والحذف واجب لكثرة الاستعمال وللتبرك بالبداءة باسم الله تعالي ، و قدره الكوفيون فعلا مقدما أي : أبدأ بسم الله ، وقدره البصريون اسما مقدما والمعني : ابتدائي كائن باسم الله .

وكلا التقديرين جائز لغة فيجوز تقدير فعل أو اسم ، ولكن الأولي أن يقدر فعل مؤخر ، الأولي أن يكون فعلا لأن الأصل في العمل الأفعال لأنها تعمل بلا شرط بخلاف الأسماء كما سيأتي في باب إعمال اسماء الفاعلين والمفعولين والصفات المشبهة بها وشروط عملها ، والأولي أن يقدر مؤخرا لأمرين : الأول : التبرك بالبداءة باسم الله تعالي فهذا هو غرض الحذف والتأخير أصلا ، ولإفادة الحصر فكأننا نقول نبدأ باسم الله لا باسم غيره .

وقلنا الأولي أن يقدر فعل لا اسم لأنه الأصل في العمل ، وهذه المسألة اختلف فيها النحاة كما سبق ، فمن قال يقدر اسم فذلك حتي لا يكون في الجملة تقديران الفعل وفاعله المستتر ، ولأن الجملة الاسمية تفيد الاستمرار والدوام خلافا للفعلية فبحسب نوع الفعل ، وقيل الأولي أن يقدر فعل لانه الاصل في العمل وطردا لمسائل أخري علي وتيرة واحدة ستأتي إن شاء الله أثناء الشرح ، و قد يتقدم هذا التعلق للاهتمام بما قدمناه كما قال تعالي (اقرا باسم ربك الذي خلق) للاهتمام بأمر القراءة والعلم ، فالأصل الحذف والتأخير ولكن قد يقدم لأمر من الأمور .

وعلي قول الكوفيين يقدر فعل ، والصحيح أن الفعل المقدر فعل مضارع بل لا يصح غيره ، فلا يصح ماضيا لان قائل البسملة أو كاتبها لم يخبر عن شيء صدر منه حتي يصح الماضي علي حقيقته ، ولا يصح تقديره أمرا كذلك لأن قائل البسملة أو كاتبها لم يأمر بشيء مستقبلا حتي يصح الأمر ، فالصحيح عند الكوفيين أن يقدر مضارعا .

والأولي أن يقدر هذا الفعل أو الاسم مناسبين للمقام مخصوصين بما سيشرع فيه كاتبها أوقائلها فيكون المعني هكذا بسم الله أؤلف أو أقرأ أو بسم الله قراءتي وتأليفي ، فهذا أولي من تقديره عاما بسم الله ابدا أو ابتدائي بسم الله فهذا عام لا يعلم بماذا سيبدأ

وعلي قول الكوفيين يكون الجار والمجرور متعلقا بمحذوف حال العامل فيه الفعل المقدر ، أي مستعينا باسم الله اقرأ ، ويجوز أن يتقدم الحال علي عاملها في مواضع يأتي ذكرها في باب الحال إن شاء الله تعالي كما قال ابن مالك :

والحال إن ينصب بفعل صرفا أو صفة أشبهت المصرفا

فجائز تقديمه كمسرعا ذا راحل ومخلصا زيد دعا

وقال أبو حيان وغيره الجار والمجرور في محل نصب مفعول به لأن الفعل المحذوف أؤلف يتعدي لمفعول بنفسه ولثان بحرف جر .

وعلي قول البصريين المقدرين اسما يكون المعني : تاليفي كائن باسم الله

فالجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف

والصحيح من قول النحاة أن شبه الجملة ليس هو الخبر بل الخبر هو متعلقه ونصر ذلك ابن كيسان علي تفاصيل كثيرة ستأتي في باب الابتداء إن شاء الله تعالي .

ولا تستغرب من حذف المبتدأ والخبر معا فهذا جائز في مواضع ستأتي في الباب المذكور آنفا

الرحمن الرحيم : نعتان مجروران علي التعظيم ، وهذا هو المشهور عند النحاة وإن كان فيها أعاريب أخري أوصلها الخضري في حاشيته إلي مائتين وتسعة وسبعين وجها !!!! ، وأشهرها تسعة

جمعها النور الأجهوري في قوله

إن ينصب الرحمن أو يرتفعا : فالجر في الرحيم قطعا منعا

فاسم الرحمن لو جررته علي أنه نعت أو بدل فلك في الرحيم الجر علي أنه نعت ثان ، والرفع علي القطع ويكون خبرا لمبتدأ محذوف ، والنصب علي أنه مفعول به لفعل محذوف تقديره أمدح ، وإذا رفعت الاسم الكريم فليس لك في الرحيم إلا الرفع والفتح ، وكذلك لو نصبت اسم الرحمن ، فسقط من التسعة أوجه وجهان وهما جر اسم الرحيم إذا رفع اسم الرحمن أو نصب .

وسبب المنع أن النعت التابع لا يؤخر عن المقطوع ، لأنك إذا جررت اسم الرحيم فهو حينئذ نعت لاسم الله ، وقد أخرته عن اسم الرحمن وهذا لم يسمع في كلام العرب أن التبعية ترجع إذا قطع ما قبلها عنها وجوزه بعضهم .

ومما يتعلق بها اعتقاديا

أن اسم الله من أسماء الله تعالي ، وعلم عليه وهو أعرف المعارف ، وذكر سيبويه عن الخليل أن أصله إله مثل فعال ، وأدخلت الألف واللام بدلا من الهمزة ، مثل الناس أصله أناس

وقال الكسائي والفراء أن أصله الإله حذفت الهمزة وأدغمت اللامان .

وعلي هذا فالاسم مشتق من أله الرجل إذا تعبد ، كما صح عن ابن عباس ونقله عنه الطبري في تفسيره أنه قرأ (ويذرك وإلاهتك) أي عبادتك .

وهو اسم الله الأعظم علي المشهور ، فإن أسماء الله وصفاته سبحانه تتفاضل ، ومن ذلك ما قاله النبي صلي الله عليه وسلم كما عندعندَ أبي داودَ والتِّرمذيّ وابنِ ماجَهْ مِن حديثِ بُرَيدةَ الأسلَميّ: أنَّه عليه السَّلامُ سَمِع رجُلًا يَقولُ: "اللَّهمَّ إنِّي أسأَلُك أنِّي أشهَدُ أنَّك أنتَ اللهُ، لا إلهَ إلَّا أنتَ، الأحَدُ الصَّمدُ الَّذي لم يَلِدْ، ولم يولَدْ، ولم يَكُنْ له كُفوًا أحدٌ، فقال: لقَد سألْتَ اللهَ بالاسمِ الَّذي إذا سُئِلَ به أَعطى، وإذا دُعي به أجابَ"

وفي ذلك ايضا ما رواه ابو أمامة عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال (اسْمُ اللهِ الأعْظَمُ الذي إذا دُعِيَ بهِ أجابَ ؛ في ثلاثِ سُوَرٍ من القُرآنِ : في (البَقرةِ) و (آلِ عِمْرانَ) ، و (طه)

وما رواه الحاكم وقال صحيح علي شرط مسلم ورواه كذلك أحمد والنسائي وغيرهم عن أنس رضي الله عنه قال (كنتُ مع رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلم جالسًا ، ورجلٌ قائمٌ يصلِّي ، فلمَّا ركع وسجد وتشهَّد ، دعا ، فقال في دعائِه : اللهمَّ إني أسألُك بأنَّ لك الحمدُ ، لا إله إلَّا أنتَ ، وحدَك لا شريكَ لك ، المنانُ ، يا بديعَ السماواتِ والأرضِ ، يا ذا الجلالِ والإكرامِ ، يا حيُّ يا قيومُ ، إني أسالكَ الجنةَ ، وأعوذُ بك من النارِ فقال النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلم لأصحابِه : تدرونَ بما دعا ؟ قالوا : اللهُ ورسولُه أعلمُ قال : والذي نفسي بيدِه ، لقد دعا اللهَ باسمِه العظيمِ وفي روايةٍ الأعظمِ الذي إذا دعِيَ به ، أجاب ، وإذا سُئِلَ به أعطَى

وروي الحاكم وصححه عن ربيعة ابن عامر قول الرسول صلي الله عليه وسلم (ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام)

فاثبت النبي صلي الله عليه وسلم لله اسما أعظم وهذا دليل التفاضل في اسماء الله .

واختلفوا في الاسم الأعظم هل هو اسم الله ، أم اسم الحي القيوم ، أم اسم ذو الجلال والإكرام ، وقيل غير ذلك ، وقال الشوكاني في كتابه تحفة الذاكرين (وقد اختلف في تعيين الاسم الأعظم علي نحو أربعين قولا أفردها السيوطي بالتصنيف)

والأقوال الثلاثة السابقة اشهرها ورجح كثير من أهل العلم أنه اسم الله وهو قول ابن عباس رواه عنه ابن منده في كتاب التوحيد فقال

(اسْمُ اللَّهِ مَعْرِفَةُ ذَاتِهِ "مَنَعَ اللَّهُ –عَزَّ وَجَلَّ– خَلْقَهُ أَنْ يَتَسَمَّى بِهِ أحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ أَوْ يُدْعَى بِاسْمِهِ إِلَهٌ مِنْ دونِهِ، جَعَلَهُ أَوَّلَ الْإِيمَانِ، وَعَمُودَ الْإِسْلَامِ، وَكَلِمَةَ الْحَقِّ وَالْإِخْلَاصِ بِهِ تُفْتَتَحُ الْفَرَائِضُ، وَتَنْعَقِدُ الْأَيْمَانُ، وَيُسْتَعَاذُ مِنَ الشَّيْطَانِ) انْتَهَى كَلَامُهُ

ويؤيد ذلك أن اسم الله له خصائص اختص بها عن سائر الاسماء منها :

أنه يضاف إليه سائر الاسماء ولا يضاف إليها ، فنقول الرحمن من اسماء الله ، ولا يقال الله من اسماء الرحمن ، وفي ذلك قال تعالي (ولله الاسماء الحسني فادعوه بها) ، وقال في الحشر (هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر)

ومن هذه الخصائص أنه متضمن لجميع معاني سائر الاسماء إجمالا والأسماء الحسني تفصيل وبيان إلاهيته ، فمدار الأسماء عليه

وهو أكثر الاسماء ورودا في القران فقد ورد أكثر من ألف ومائتي مرة ، وافتتح الله به ثلاثا وثلاثين سورة ، وهذا لم يكن لغيره من الأسماء

ومنها أنه اقترنت به عامة الاذكار الماثورة كالتهليل والتحميد والتكبير والتسبيح والحوقلة وغيرها .

وقيل أن اسم الله الأعظم هو الحي القيوم ونصر ذلك ابن القيم فقال في زاد المعاد (فإنَّ صفة الحيّاة متضمِّنةٌ لجميع صفات الكمال، مستلزمةٌ لها وصفة القيُّومية متضمنة لجميع صفات الأفعال ولهذا كان اسم الله الأعظم الذي إذ دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى هو اسم الحيّ القيوم)

وقال السعدي في فتح الملك العلام

(والتحقيق أنَّ الاسم الأعظم اسم جنس لا يراد به اسم معيَّن فإنَّ أسماء الله نوعان
أحدهما :ما دلَّ على صفة واحدة أو صفتين أو تضمن أوصافا معدودة
والثَّاني :ما دلَّ على جميع ما لله من الصفات الكمال وتضمن ما له من نعوت العظمة والجلال والجمال
فهذا النَّوع هو الاسمُ الأعظم لما دلَّ عليه من المعاني الَّتي هي أعظمُ المعاني و أوسعها.
فا لله اسمٌ أعظم وكذلك الصَّمد وكذلك الحيُّ القيُّوم وكذلك الحميد المجيد وكذلك الكبير العظيم وكذلك المحيط) ، فقد يكون الاسم الأعظم هو ما يناسب حال الداعي ومطلوبه .

وكلمة إله علي وزن فعال وهي تأتي بمعني فاعل وبمعني مفعول
ومعناها عند الموحدين بمعني مفعول فإله أي مألوه وهو المعبود محبة وتعظيما
وعند المشركين بمعني فاعل أي القادر علي الاختراع والخلق
ولكن قضت نصوص الشريعة كتابا وسنة أنها بمعني مألوه وهو المعبود
فمن اعتقد أن الله وحده هو الخالق الرازق المدبر ولكن طلب المدد من غيره أو الشفاعة من غيره أو صرف أي عبادة لغيره معه كان كافرا ولو كان معتقدا أن الله لا خالق غيره ولا رازق غيره

ولهذا لما قال النبي صلي الله عليه وسلم لقومه (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)
قالوا (أجعل الآلهة إلها واحدا ! إن هذا لشيء عجاب)

ولهذا ما أرسل الله من رسول ولا نبي إلا ودعوته (اعبدوا الله ما لكم من إلا غيره) فهذه أول كلمة تقرع آذان الأقوام ، فمحل النزاع في عبادة الله وحده ، لا في اعتقاد أنه الخالق وحده الرازق وحده .

قال سليمان بن عبد الله في كتابه (تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد)

(ومعنى لا اله الا الله أي لا معبود بحق إلا إله واحد وهو الله وحده لاشريك له كما قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون مع قوله تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فصح أن معنى الا له هو المعبود ولهذا لما قال النبي صلى الله عليه وسلم لكفار قريش قولوا لا إله إلا الله قالوا اجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب وقال قوم هود أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا وهو إنما دعاهم إلى لا اله الا الله فهذا هو معنى لاإله إلا الله وهو عبادة الله وترك عبادة ما سواه وهو الكفر بالطاغوت وايمان بالله فتضمنت هذه الكلمة العظيمة إن ما سوى الله ليس بإله وأن الهية ما سواه أبطل الباطل وإثباتها أظلم الظلم فلا يستحق العبادة سواه كما لا تصلح الالهية لغيره فتضمنت نفي الالهية عما سواه وإثباتها له وحده لا شريك له وذلك يستلزم الأمر باتخاذه الها وحده والنهي عن اتخاذ غيره معه إلها وهذا يفهمه المخاطب من هذا النفي والاثبات

وقد دخل في الالهيه جميع أنواع العبادة الصادرة عن تأله القلب لله بالحب والخضوع والانقياد له وحده لا شريك له فيجب إفراد الله تعالى بها كالدعاء والخوف والمحبة والتوكل والإنابة والتوبة والذبحح والنذر والسجود وجميع أنواع العبادة فيجب صرف جميع ذلك لله وحده لا شريك له فمن صرف شيئا مما لا يصلح الا لله من العبادات لغير الله فهو مشرك ولو نطق لا إله إلا الله إذ لم يعمل بما تقتضيه من التوحيد والاخلاص ذكر نصوص العلماء في معنى الإله قال ابن عباس رضي الله عنه الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه اجمعين رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وقال الوزير أبو المظفر في الافصاح قوله شهادة أن لا إله إلا الله يقتضي أن يكون الشاهد عالما بأن لا إله إلا الله كما قال الله عز وجل فاعلم أنه لا إله إلا الله وينبغي أن يكون الناطق بها شاهدا فيها فقد قال الله عز وجل ما أوضح به أن الشاهد بالحق إذا لم يكن عالما بما شهد به فإنه غير بالغ من الصدق به مع من شهد من ذلك بما يعلمه في قوله تعالى إلا من شهد بالحق وهم يعلمون قال واسم الله تعالى مرتفع بعد الأمن حيث إنه الواجب له الالهية فلا يستحقها غيره سبحانه قال واقتضى الاقرار بها أن تعلم أن كل ما فيه أمارة للحدث فانه لا يكون إلها فإذا قلت لا إله إلا الله فقد اشتمل نطقك هذا على أن ما سوى الله ليس باله فيلزمك إفراده سبحانه بذلك وحده قال وجملة الفائدة في ذلك أن تعلم ان هذه الكلمة هي مشتملة على الكفر بالطاغوت والايمان بالله فانك لما نفيت الالهية وأثبت الايجاب لله سبحانه كنت ممن كفر بالطاغوت وآمن بالله .

وقال شيخ الإسلام الاله هو المعبود المطاع وقال أيضا في لا إله إلا الله إثبات انفراده بالآلهية والإلهية تتضمن كمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته ففيها إثبات إحسانه الى العباد فان الاله هو المألوه والمألوه هو الذي يستحق أن يعبد وكونه يستحق أن يعبد هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب المخضوع له غاية الخضوع وقال ابن القيم رحمه الله الإله هو الذي تألهه القلوب محبة وإجلالا وإنابة وإكراما وتعظيما وذلا وخضوعا وخوفا ورجاء وتوكلا وقال ابن رجب رحمه الله الإله هو الذي يطاع فلا يعصى هيبة له وإجلالا ومحبة وخوفا ورجاء وتوكلا عليه وسؤالا منه ودعاء له ولا يصلح ذلك كله إلا لله عز وجل فمن أشرك مخلوقا في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية كان ذلك قدحا في إخلاصه في قول لا إله إلا الله ونقصا في توحيده وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك وهذا كله من فروع الشرك وقال البقاعي لا إله إلا الله أي انتفى انتفاء عظيما أن يكون معبود بحق غير الملك الأعظم فإن هذا العلم هو أعظم الذكرى المنجية من أهوال الساعة وإنما يكون علما إذا كان نافعا وإنما يكون نافعا إذا كان الاذعان والعمل بما تقتضيه وإلا فهو جهل صرف وقال الطيبي الإله فعال بمعنى مفعول كالكتاب بمعنى المكتوب من إله أي عبد عبادة وهذا كثير جدا في كلام العلماء وهو إجماع منهم أن الإله هو المعبود خلافا لما يعتقده عباد القبور وأشباههم في معنى الإله أنه الخالق أو القادر على الاختراع أو نحو هذه العبارات ويظنون أنهم إذا قالوها بهذا المعنى فقد أتوا من التوحيد بالغاية القصوى ولو فعلوا ما فعلوا من عبادة غير الله كدعاء الأموات والاستغاثة بهم في الكربات وسؤالهم قضاء الحاجات والنذر لهم في الملمات وسؤالهم الشفاعة عند رب الأرض والسموات إلى غير ذلك من أنواع العبادات وما شعروا أن إخوانهم من كفار العرب يشاركونهم في هذا الاقرار ويعرفون أن الله هو الخالق القادر على الإختراع ويعبدونه بأنواع من العبادات فليهن أبا جهل وأبو لهب ومن تبعهما من الإسلام بحكم عباد القبور وليهن أيضا إخوانهم عباد ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر إذ جعل هؤلاء دينهم هو الإسلام المبرور ولو كان معناها ما زعمه هؤلاء الجهال لم يكن بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبينهم نزاع بل كانوا يبادرون الى إجابته ويلبون دعوته إذ يقول لهم قولوا لا إله إلا الله بمعنى أنه لا قادر على الاختراع إلا الله فكانوا يقولون سمعنا وأطعنا قال الله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والأبصار الآيه إلى غير ذلك من الآيات لكن القوم أهل اللسان العربي فعلموا أنها تهدم عليهم دعاء الأموات والأصنام من الأساس وتكب بناء سؤال الشفاعة من غير الله وصرف الالهية لغيره لأم الرأس فقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى هؤلاء شفعاؤنا عند الله أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب فتبا لمن كان أبو جهل ورأس الكفر من قريش وغيرهم أعلم منه لا إله إلا الله قال تعالى إنهم كانوا إذا قيل لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون فعرفوا أنها تقتضي ترك عبادة ما سوى الله وإفراد الله بالعبادة وهكذا يقول عباد القبور إذا طلبت منهم إخلاص الدعوة والعبادة لله وحده أنترك سادتنا وشفعاءنا في قضاء حوائجنا فقال لهم نعم وهذا الترك والإخلاص هو الحق كما قال تعالى بل جاء بالحق وصدق المرسلين ولا إله إلا الله اشتملت على نفي وإثبات فنفت الإلهية عن كل ما سوى الله تعالى فكل ما سواه من الملائكة والأنبياء فضلا عن غيرهم فليس باله ولا له من العبادة شيء وأثبتت الالهية لله وحده بمعنى أن العبد لا يأله غيره أي لا يقصده بشيء من التأله وهو تعلق القلب الذي يوجب قصده بشيء من أنواع العبادة كالدعاء والذبح والنذر وغير ذلك وبالجمله فلا يأله إلا الله أي لا يعبد إلا هو .

فمن قال هذه الكلمة عارفا لمعناها عاملا بمقتضاها من نفي الشرك وإثبات الوحدانية لله مع الاعتقاد الجازم لما تضمنته من ذلك والعمل به فهذا هو المسلم حقا فان عمل به ظاهرا من غير اعتقاد فهو المنافق وان عمل بخلافها من الشرك فهو الكافر ولو قالها إلا ترى أن المنافقين يعملون بها ظاهرا وهم

في الدرك الأسفل من النار واليهود يقولونها وهم على ما هم عليه من الشرك والكفر فلم تنفعهم وكذلك من ارتد عن الإسلام بإ نكار شيء من لوازمها وحقوقها فانها لا تنفعه ولو قالها مائة الف فكذلك من يقولها ممن يصرف أنواع العبادة لغير الله كعباد القبور والأصنام فلا تنفعهم ولا يدخلون في الحديث الذي جاء في فضلها وما أشبهه من الأحاديث وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله وحده لا شريك له تنبيها على أن الانسان قد يقولها وهو مشرك كاليهود والمنافقين وعباد القبور لما رأوا ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا قومه إلى قول لا إله إلا الله ظنوا أنه إنما دعاهم الى النطق بها فقط وهذا جهل عظيم وهو عليه السلام إنما دعاهم اليها ليقولوها ويعملوا بمعناها ويتركوا عبادة غير الله ولهذا قالوا أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون وقالوا أجعل الآلهة إلها واحدا فلهذا أبوا عن النطق بها وإلا فلو قالوها وبقوا على عبادة اللات والعزى ومناة لم يكونوا مسلمين ولقاتلهم عليه السلام حتى يخلعوا الأنداد ويتركوا عبادتها ويعبدوا الله وحده لا شريك له وهذا أمر معلوم بالاضطرار من الكتاب والسنة والاجماع .

وأما عباد القبور فلم يعرفوا معنى هذه الكلمة ولا عرفوا الالهية المنفية عن غير الله الثابتة له وحده لا شريك له بل لم يعرفوا من معناه إلا ما أقربه المؤمن والكافر واجتمع عليه الخلق كلهم من أن معناها لا قادر على الاختراع أو أن معناها الإله هو الغني عما سواه الفقير اليه كل ما عداه ونحو ذلك فهذا حق وهو من لوازم الالهية ولكن ليس هو المراد بمعنى لا إله إلا الله فان هذا القدر قد عرفه الكفار وأقروا به ولم يدعوا في آلهتهم شيئا من ذلك بل يقرون بفقرهم وحاجتهم إلى الله وإنما كانوا يعبدونهم على معنى أنهم وسائط وشفعاء عند الله في تحصيل المطالب ونجاح المآرب وإلا فقد سلموا الخلق والملك والرزق والإحياء والإماتة والأمر كله لله وحده لا شريك له وقد عرفوا معنى لا إله إلا الله وأبوا عن النطق والعمل بها فلم ينفعهم توحيد الربوبية مع الشرك في الالهية كما قال تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله إلا وهم مشركون وعباد القبور نطقوا بها وجهلوا معناها وأبوا عن الإتيان به فصاروا كاليهود الذين يقولونها ولا يعرفون معناها ولا يعملون به فتجد أحدهم يقولها وهو يأله غير الله بالحب والاجلال والتعظيم والخوف والرجاء والتوكل والدعاء عند الكرب ويقصده بأنواع العبادة الصادرة عن تأله قلبه لغير الله مما هو أعظم مما يفعله المشركون الأولون ولهذا إذا توجهت على أحدهم اليمين بالله تعالى أعطاك ما شئت من الايمان صادقا أو كاذبا ولو قيل له احلف بحياة الشيخ فلان أو بتربته ونحو ذلك لم يحلف إن كان كاذبا وما ذاك إلا لأن المدفون في التراب أعظم في قلبه من رب الأرباب وما كان الأولون هكذا بل كانوا إذا أرادوا التشديد في اليمين حلفوا بالله تعالى كما في قصة القسامة التي وقعت في الجاهلية وهي في صحيح البخاري وكثير منهم وأكثرهم يرى أن الاستغاثة بإلهه الذي يعبده عند قبره أو غيره أنفع وأنجح من الاستغاثة بالله في المسجد ويصرحون بذلك والحكايات عنهم بذلك فيها أطول وهذا امر ما بلغ إليه شرك الاولين وكلهم إذا أصابتهم الشدائد أخلصوا للمدفونين في التراب وهتفوا باسمائهم ودعوهم ليكشفوا ضر المصاب في البر والبحر والسفر والإياب وهذا أمر ما فعله الأولون بل هم في هذه الحال يخلصون للكبير المتعال فاقرأ قوله تعالى فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين الاية وقوله ثم اذا مسكم الضر فإليه تجأرون ثم إذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون وكثير منهم قد عطلوا المساجد وعمروا القبور والمشاهد فإذا قصد أحدهم القبر الذي يعظمه أخذ في دعاء صاحبه باكيا خاشعا ذليلا خاضعا بحيث لا يحصل له ذلك في الجمعة والجماعات وقيام الليل وإدبار الصلوات فيسألونهم مغفرة الذنوب وتفريج الكروب والنجاة من النار وأن يحطوا عنهم الأوزار فكيف يظن عاقل فضلا عن عالم أن التلفظ بلا إله إلا الله مع هذه الأمور تنفعهم وهم إنما قالوها بألسنتهم وخالفوها باعتقادهم وأعمالهم .

ولا ريب أنه لو قالها أحد من المشركين ونطق أيضا بشهادة أن محمدا رسول الله ولم يعرف معنى الإله ولا معنى الرسول وصلى وصام وحج ولا يدري ما ذلك إلا أنه رأى الناس يفعلونه فتابعهم ولم يفعل شيئا من الشرك فانه لا يشك أحد في عدم إسلامه وقد أفتى بذلك فقهاء المغرب كلهم في أول القرن الحادي عشر أو قبله في شخص كان كذلك كما ذكره صاحب الدر الثمين في شرح المرشد المعين من المالكية ثم قال شارحه وهذا الذي افتوا به جلي في غاية الجلاء لا يمكن إن يختلف فيه اثنان انتهى ولا ريب ان عباد القبور أشد من هذا لأنهم اعتقدوا الالهية في أرباب متفرقين فإن قيل قد تبين معني الإله والالهية فما الجواب عن قول من قال بان معنى الإله القادر على الاختراع ونحو هذه العبارة قيل الجواب من وجهين أحدهما أن هذا قول مبتدع لا يعرف أحد قاله من العلماء ولا من أئمة اللغة وكلام العلماء وأئمة اللغة هو معنى ما ذكرنا كما تقدم فيكون هذا القول باطلا الثاني على تقدير تسليمه فهو تفسير باللازم للاله الحق فان اللازم له أن يكون خالقا قادرا على الاختراع ومتى لم يكن كذلك فليس بإله حق وإن سمي الها وليس مراده أن من عرف أن الاله هو القادر على الاختراع فقد دخل في الإسلام وأتى بتحقيق المرام من مفتاح دار السلام فان هذا لا يقوله أحد لأنه يستلزم أن يكون كفار العرب مسلمين ولو قدر أن بعض المتأخرين أرادوا ذلك فهو مخطىء يرد عليه بالدلائل السمعية والعقلية .

وقال ابن القيم في بدائع الفوائد مبينا أن اسم الله مشتق من الإلهية متضمنا لمعني الإلهية والعبودية وليس جامدا كما هو معتقد المعطلة من المعتزلة والشيعة

(زعم السهيلي ، وشيخه أبو بكر بن العربي أن اسم الله غير مشتق ؛ لأن الاشتقاق يستلزم مادة يُشتَقُّ منها ، واسمه تعالى قديم ، والقديم لا مادة له ، فيستحيل الاشتقاق ، ولا ريب أنه ، إن أريد بالاشتقاق هذا المعنى ، وأنه مستمدٌّ من أصل آخر ، فهو باطل ؛ ولكن الذين قالوا بالاشتقاق لم يريدوا هذا المعنى ، ولا ألمَّ بقلوبهم ؛ وإنما أرادوا أنه دالٌّ على صفة له تعالى ، وهي الإلهيَّة ؛ كسائر أسمائه الحسنى ؛ كالعليم والقدير ، والغفور والرحيم ، والسميع والبصير ؛ فإن هذه الأسماء مُشتقَّة من مصادرها بلا ريب ، وهي قديمة ، والقديم لا مادة له ، فما كان جوابكم عن هذه الأسماء ؟ فهو جواب القائلين باشتقاق اسم الله.
ثم الجواب عن الجميع : أننا لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى ، لا أنها متولِّدة منها تولُّد الفرع من أصله . وتسمية النحاة للمصدر والمشتقّ منه : أصلاً وفرعًا ، ليس معناه : أن أحدهما تولَّدَ من الآخر ؛ وإنما هو باعتبار أن أحدهما يتضمَّن معنى الآخر)

واسم الرحمن واسم الرحيم قيل أن الفرق بينهما أن الرحمن أشد مبالغة من الرحيم لأن زيادة المبني تدل علي زيادة المعني .

ولكن قال ابن القيم كلاما هاما في بدائع الفوائد

(وأما الجمع بين الرحمن الرحيم ففيه معنى هو أحسن من المعنيين الذين ذكرهما، وهو أن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف، والثاني للفعل، فالأول دال على أن الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته)

فالرحمن ذو الرحمة الواسعة والرحيم ذو الرحمة الواصلة

وما يتعلق بها من أحكام فقهية -غير ما سبق ذكره في بحث مسألة كونها آية من الفاتحة وأن السنة الإسرار بها والجهرأحيانا – ما قلته في كتابي الإلمام بأحكام الطهارة مختصرا

(وتجب علي الوضوء علي الراجح وهو من مفردات مذهب الإمام أحمد لقوله صلي الله عليه وسلم كما في الحديث الذي صححه بعضهم لشواهده كابن حجر (لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه) والاصل في النفي أنه نفي للصحة لا للكمال ، والواجب يسقط سهوا وجهلا لا عمدا وعليه فإذا انتهي من بعضه ثم ذكر قالها ولم يعد وهذا أحد القولين في المذهب ، ومن تعمد تركها فلا وضوء له ، وذهب الجماهير أنها سنة لا واجب لضعف الحديث ولأنها لم تذكر في صفة الوضوء المفصلة التي بينها الله تعالي في سورة المائدة ، وولا تجب في التيمم والغسل لعدم ذكرها في أحاديث صفتهما وتجب في مذهب الإمام احمد بالقياس علي الوضوء وهو أحوط ، وتشترط لحل الذبيحة لأنه شرط إيجاد لقوله صلي الله عليه وسلم (ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكل) ، وشرط الإيجاد لا يسقط لا سهوا ولا جهلا كما هو مقرر اصوليا وهذا الذي نصره ابن تيمية خلافا للجمهور ، وتجب للطعام لقوله صلي الله عليه وسلم لابن عباس فيما اتفق علي صحته (يَا غُلَامُ سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ) ، ولقول عائشة كما صح عند أبي داوود (إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُم فَلْيَذْكُرِ اسْمَ الله، فإنْ نَسي أنْ يَذْكُرَ اسْمَ الله في أوَّلِهِ، فَلْيَقُلْ: بِسْمِ الله أوَّلَهُ وَآخِرَهُ) والأمر يقتضي الوجوب أصوليا لذا كان وجوب التسمية علي الطعام هو الراجح .

هذا ما يتعلق بالبسملة ، أسأل الله أن ينفع بهذه الرسالة اللطيفة المسلمين إنه جواد كريم رءوف رحيم

والحمد لله رب العالمين وصلي الله وسلم علي نبينا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين .